

«المزوج» .. ولا بد من ملاحظة هذه الحقيقة ودقة تصورهما كلما تحدثنا عن تركيب الإنسان من الطين ومن النفخة العلوية التي جعلت منه هذا المخلوق الفريد التكوين .. إنه لا انفصال بين هذين الأفقين في تكوينه ، ولا تصرف لأحدهما بدون الآخر في حالة واحدة من حالاته ، إنه لا يكون طيناً خالصاً في لحظة ، ولا يكون روحاً خالصاً في لحظة ، ولا يتصرف تصرفاً واحداً إلا بحكم تركيبه الذي لا يقع فيه الانفصال !

والتوازن بين خصائص العناصر الطينية فيه والعناصر العلوية هو الأفق الأعلى الذي يطلب إليه أن يبلغه ، وهو الكمال البشرى المقدر له ، فليس مطلوباً منه أن يتخلى عن طبيعة أحد عنصريه ومطالبه ليكون ملكاً أو ليكون حيواناً ، وليس واحد منهما هو الكمال المنشود للإنسان ، والارتفاع الذي يحل بالتوازن المطلق نقص بالقياس إلى هذا المخلوق وخصائصه الأصيلة ، والحكمة التي من أجلها خلق على هذا النحو الخاص .

والذي يحاول أن يعطل طاقاته الجسدية الحيوية هو كالذي يحاول أن يعطل طاقاته الروحية الطليقة .. كلاهما يخرج على سواء فطرته ، ويريد من نفسه ما لم يرده الخالق له ، وكلاهما يدمر نفسه بتدمير ذلك المركب في كيانها الأصيل ، وهو محاسب أمام الله على هذا التدمير .

من أجل هذا أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على من أراد أن يترهب فلا يقرب النساء ، ومن أراد أن يصوم الدهر فلا يفطر ، ومن أراد أن يقوم الليل فلا ينام ، أنكر عليهم كما ورد في حديث عائشة وقال : «فمن رغب عن سنتي فليس مني» (١) .

وقد أقام الإسلام شريعته للإنسان على أساس تكوينه ذلك ، وأقام له عليها نظاماً بشرياً لا تدمر فيه طاقة واحدة من طاقات البشر ، إنما قصارى هذا النظام أن يحقق التوازن بين هذه الطاقات ، لتعمل جميعها في غير طغيان ولا ضعف ، ولا اعتداء من إحداها على الأخرى ، فكل اعتداء يقابله تعطيل ، وكل طغيان يقابله تدمير ، والإنسان حفيظ على خصائص فطرته ومسئول عنها أمام الله ، والنظام الذي يقيمه الإسلام للناس حفيظ على هذه الخصائص التي لم يهبها الله جزافاً للإنسان .

(١) - أخرجه النسائي ٢٠/٤ ، و «الكنز» (٥٣٨٣) ، و «مشكل الآثار» ١٨٨/٢ ، و «المجمع» ٢٥٩/٢ ، والطبراني في «الكبير» ٣٢٠/٢ كلهم بألفاظ متقاربة .